الفصل السابع
خُلِقَ الإنسان فى أحسن تقويم

خلافاً لكل نظريات الإلحاد والشرك والكفر، وخلافاً لكل آراء ومعتقدات أصحاب الديانات الوضعية، ينظر الإسلام بلسان القرآن الكريم، وبلسان رسوله الأمين، وبأيمان أتباعه، إلى الإنسان نظرة تختلف اختلافاً جوهرياً وبالكامل عن جميع النظرات الأخرى.

فى حين ينظر للإنسان من أعمى الله قلوبهم أنه آثم خاطئ بالوراثة، أو أنه من سلالة القرود والسعادين، أو أنه قريب من نسل الكلاب والحشرات؛ ماسخين إياه فى أحط صورة؛ واصفين أصله بالوضاعة المتناهية وبالتالى حقارة ودناءة هذا المنشأ. وفى حين يعتبره بعضهم مادة للبحث يستخدمونها لإجراء التجارب عليها فى معاملهم ومختبراتهم، وحقل تجارب واستكشاف لدى علماء النفس والاجتماع. فإنَّ الإسلام ينظر إليه نظرة تبجيل واحترام. فهو فى نظر الإسلام مخلوق خلقه الله تعالى فى أحسن تقويم، صاحب أجمل صورة. وأنّ الله صوره فأحسن التصوير.

نعم، إنه الإنسان الذى سجدت له ملائكة الرحمن، الإنسان الذى كرّمه الله وزينه بالسمع والبصر والفؤاد والإدراك والتمييز وحُسن الصورة وجمالها.

قال تعالى من سورة الانفطار:{**يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ**}(1)

(1) يمكن الرجوع إلى بحث " الحياة والروح " وبحث " الموت " فى الباب الخامس.

وقال تعالى من سورة غافر:{**للَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاء بِنَاء وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**}(1)

وقال تعالى من سورة التغابن:{**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**}(2)

ومن سورة المُلك:{**هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ * قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**}(3)

ومن سورة التين:{**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**}(4)

ومن سورة الإسراء:{**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**}(5)

وفى تفضيل الله تعالى الإنسان على غيره من المخلوقات يقول محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره: (إنَّ التفضيل هو أن يأكل بيده وسائر الحيوانات بالفم، وروى عن إبن عباس والكلبى ومقاتل نفس ذلك، وقال الضحاك: كرّمهم بالنطق والتمييز، وقال عطاء: كرّمهم بتعديل القامة وامتدادها، وقال يمان: بحُسن الصورة)(6) وله أيضاً: (بتسليطهم على سائر الخلق، وتسخير سائر الخلق لهم) وقال آخرون: (بالكلام والخط، وقيل بالفهم والتمييز)(7)

---

(1) الانفطار: (6 - 8).
(2) غافر: (64).
(3) التغابن: (3).
(4) المُلك: (23 - 24).
(5) التين: (4).
(6) الإسراء: (70).
(7) تفسير القرطبي، جلد (10) صفحة (294) أيضاً: تفسير الطبري، جلد (15)، صفحة (126).

وقال القرطبى فى تفسيره مُرَجحاً: (والصحيح الذى يعول عليه أنَّ التفضيل إنّما كان بالعقل الذى هو عمدة التكليف، وبه يُعرف الله ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رُسُله، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بُعِثت الرّسُل وأرسلت الكتب)[1]

أما ابن كثير فيقول فى تفسيره: (يخبر الله تعالى عن تشريفه لبنى آدم وتكريمه إياهم فى خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها، كقوله تعالى{**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**}[2]، أن يمشى قائماً منتصباً على رجليه ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشى على أربع ويأكل بفمه، وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً يفقه به ذلك كله وينتفع به ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها ومضارها فى الأمور الدينية والدنيوية.....)[3]

وقال العلامة الشيخ تقى الدين النبهاني، فى كتابه "التفكير": (إنَّ الإنسان هو أفضل المخلوقات على الإطلاق، حتى لقد قيل ~ وهو قول حق ~ إنَّه أفضل من الملائكة، والإنسان فضله إنّما هو فى عقله، فعقل الإنسان هو الذى رفع شأن هذا الإنسان وجعله أفضل المخلوقات)[4]

وأورد محمد على الصابونى فى تفسيره: (أى لقد شرفنا ذرية آدم على جميع المخلوقات: بالعقل والعلم والنطق وتسخير جميع ما فى الكون لهم... وفضلناهم على جميع من خلقنا من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات من الجن والبهائم والدواب والوحش والطير وغير ذلك)[5]

---

(1) المصدر السابق.
(2) تفسير القرطبي، مجلد (10)، صفحة (294).
(3) التين: (4).
(4) تفسير ابن كثير، مجلد (3)، صفحة (52).
(5) النبهانى - الشيخ تقى الدين، كتاب " التفكير "، صفحة (5).

وأمّا صاحب الظلال فيقول: (ذلك وقد كرّم الله هذا المخلوق البشرى على كثير من خلقه، كرّمه بخلقته على تلك الهيئة، بهذه الفطرة التى تجمع بين الطين والنفخة، فتجمع بين الأرض والسماء فى ذلك الكيان!! وكرمه بالاستعدادات التى أودعها فى فطرته، والتى استأهل بها الخلافة فى الأرض، يغير فيها ويبدل، وينتج فيها وينشئ، ويركب فيها ويحلل، ويبلغ فيها الكمال المقدر للحياة..... وكرّمه بتسخير القوى الكونية لـه فى الأرض وإمداده بعون القوى الكونية فى الكواكب والأفلاك..... وكرّمه بذلك الاستقبال الضخم الذى استقبله به الوجود، وبذلك الموكب الذى تسجد فيه الملائكة ويعلن فيه الخالق جلّ شأنه تكريم الإنسان)[1]

قال عالِم التطور "ميلرش *Mellersh H.*" فى كتابه "تاريخ الإنسان": (إنّ دماغ الإنسان يختلف عن أدمغة بقية الحيوانات، وهو يشكل حدثاً جديداً فى الحياة. وكل الأجناس البشرية تتمتع بهذه المزية... فأقوام أستراليا البدائيون يستطيعون أن يتثقفوا فى بحر جيل واحد، وهذا يدل على أنّ الإنسان سواء أكان شرقياً أو غربياً، متمدناً أو بدائياً، يتمتع بالقدرات العليا ذاتها. وهذا ما أقرّه العِلم! فالهوّة إذاً سحيقة بين الإنسان والحيوان)

أمّا مجلة "لايف *Life*" فقد كتبت فى عددها الصادر بتاريخ *1963/06/28*، شارحة تفوق الدماغ الإنسانى تقول: (لخلايا الدماغ العصبية آلاف الاتصالات بعضها ببعض، وهناك اتصالات إضافية بفضل الكمية العليا من القشرة الدماغية التى تضاعف القدرة أضعافاً لا نهاية لها على استقبال وتحليل المعلومات. وهذه القدرة الاعتيادية تجعل الدماغ الإنسانى بمنزلة رفيعة لا تُدانى بالنسبة إلى باقى الكائنات الحية)

(*1*) الصابونى - محمد على، صفوة التفاسير، جلد (2)، صفحة (170).

وبالتالى فالهوة سحيقة جداً بين الإنسان وبين الحيوان، أو حتى بين الإنسان وبين أى مخلوق آخر، فلو كانت نظرية النشوء والارتقاء المادى أو جميع نظريات التطور المادى الأخرى صادقة لما كانت تلك الهوة السّحيقة، بل لكان التقارب النسبى واضحاً.

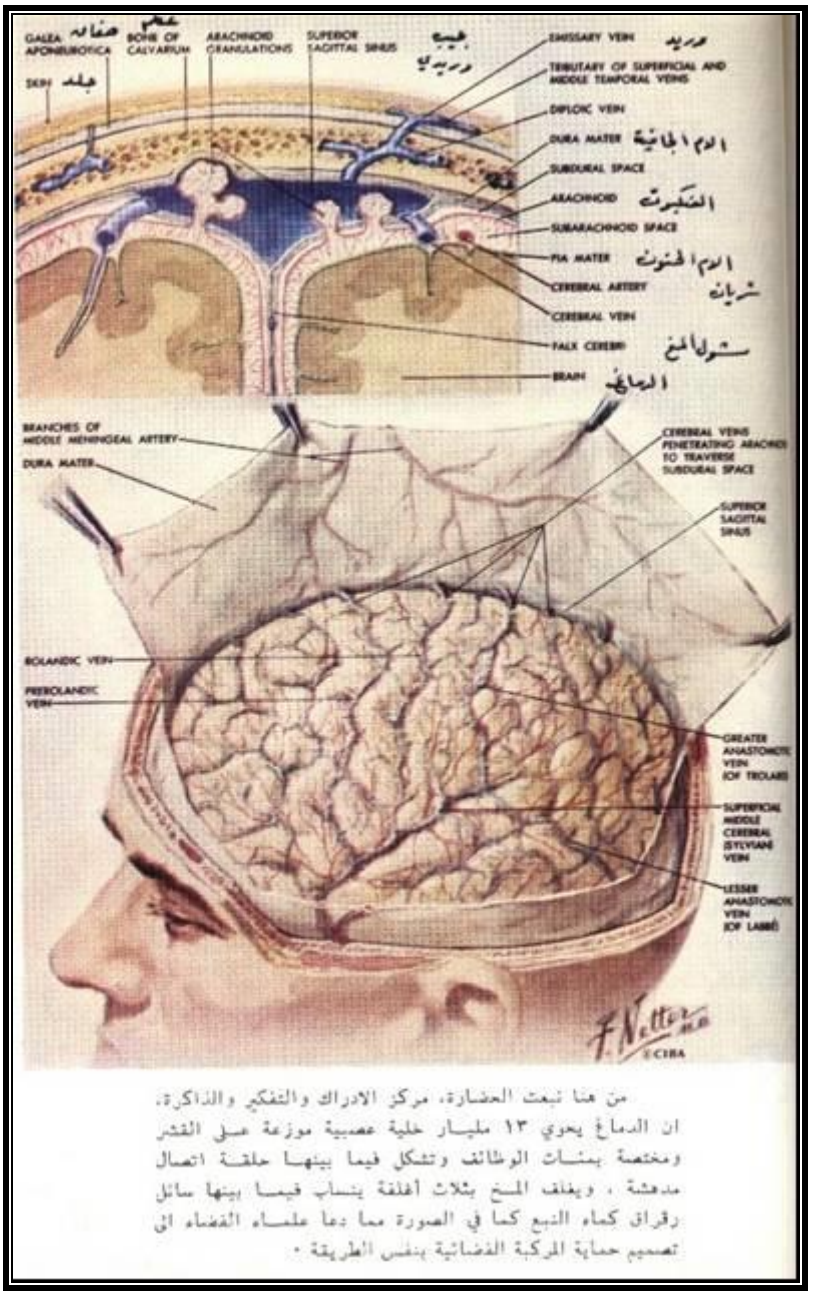

من هنا نبعت الحضارة، مركز الادراك والتفكير والذاكرة، ان الدماغ يحوي ١٣ مليار خلية عصبية موزعة على القشر ومختصة بمئات الوظائف وتشكل فيما بينها حلقة اتصال مدهشة ، ويغلف المخ بثلاث أغلفة ينساب فيما بينها سائل رقراق كماء الينبع كما في الصورة مما دعا علماء الفضاء الى تصميم حماية المركبة الفضائية بنفس الطريقة .

يقول علماء التطور المادى بوجود مراحل للذكاء، ولكننا لا نعلم بوجود ذلك مطلقاً، بل إنّ ما نعلمه "أنَّ 90% من الناس أذكياء، فعامة الناس أو أكثرهم أذكياء، والنادر هم البلداء أو الأغبياء، وهذا النادر لا حكم لـه. "

وهذا الرأى هو ما قال به العلامة النبهانى فى كتابه "سرعة البديهة". (1)

كما يزعم علماء التطور المادى بأنّ الإنسان المعروف باسم "إنسان ما قبل التاريخ" والذى يدّعون أنه انقرض كان يمثل الحلقة الوسطى. فلماذا عاشت هذه الحلقات الدنيا مثل القردة بينما انقرض إنسان ما قبل التاريخ، مع العِلم أنّ المفروض فيه حسب منطوق ومفهوم نظرياتهم أن يكون أرقى من القردة بكثير وأصلح للبقاء؟ وما الدليل على ذلك إن وُجد؟.

ويقول داروين: (قد يكون للإنسان عذره فى أن يشعر بشيء من الكبرياء لأنه ارتقى إلى ذروة السّلم العضوي، ولو أنّ ذلك الارتقاء لم يكن نتيجة لجهده الخاص. وإذا كان الإنسان قد ارتقى إلى مكانه الذى يحتله الآن، ولم يوجد فى الأصل ومنذ البداية فى هذا المكان فإنَّ ذلك خليق بأن يعطيه بعض الأمل فى مصير أفضل فى المستقبل البعيد... "ومع ذلك"... ورغم كل هذه القوى المثيرة فلا يزال الإنسان يحمل فى هيكله المادى وصمَةً لا يمكن محوها تشير إلى أصله الوضيع)(2)

وصمة الأصل الوضيع!!!! هكذا ينظرون للإنسان وأصله، ونحن نقول ومعنا كل الأدلة الدامغة التى تؤكد صحة قولنا؛ وتنفى نفياً قاطعاً ادعاءات وترهات داروين والتى نسجها من خياله الواسع!!!! نقول: نعم، لقد خلق الله الإنسان فى أحسن تقويم... إنّه الإنسان العاقل، الذى علمه الله، وزينه بالعقل والإدراك. إنّه الإنسان الأول "آدم عليه السّلام" الذى هو نفس الإنسان الحالى بجميع أوصافه التى نراها وندركها. لم يتبدّل ولم يتغير ولم يتطور. ولــه أن يفخر بأصله بحق، ولــه أن يفخر بأنّ الله قد فضله على جميع مخلوقاته، إذ اختاره من دون المخلوقات جميعها ليهبه العقل المميز، وأن

---

(1) قطب - سيد، فى ظلال القرآن، جلد (4)، صفحة (2241).
(2) النبهانى - الشيخ تقى الدين، سرعة البديهة، صفحة (23).

يُسّخِرَ لـه ولمنفعته كل ما خلق. الإنسانُ الذى خلقهُ الله فـى أحسن تقويم.